هيا بنا ..

نتوب

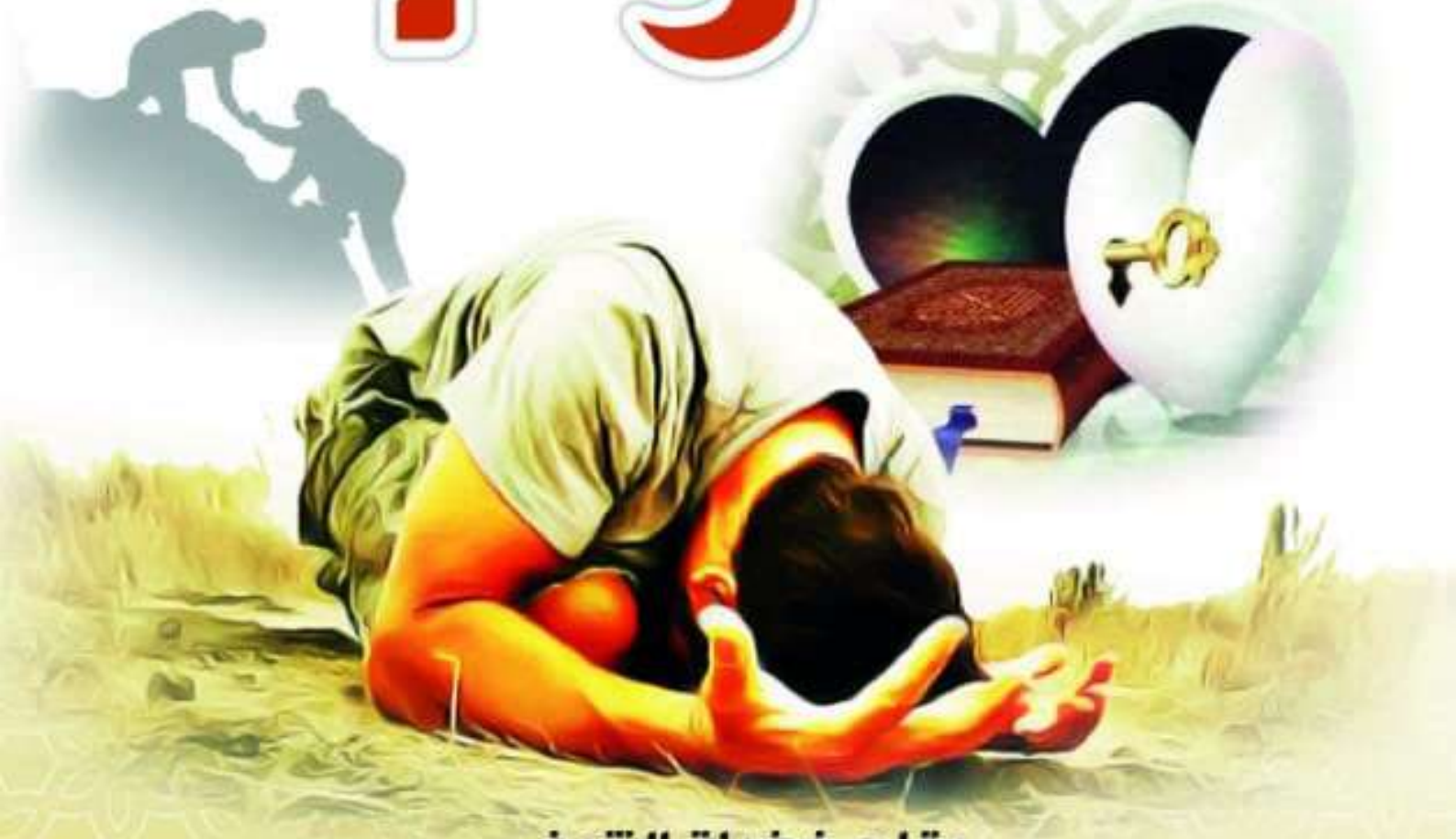

بقلم فضيلة الشيخ

أ.د/ محمود الحفناوي الأنصاري

المدرس بالجامعة الإسلامية العالمية

هيـــا بنـــا نتـــوب

تأليف

أ. د. محمود الحفناوي الأنصاري

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية العالمية

غفر الله له ولوالديه ولزوجاته وأولاده ولجميع المسلمين

دار الأمل

صناعةُ فكر ومنارةُ وعي

Daralamal2014@gmail.com

الجـــــوال : 6 0100028216

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: هيا بنا نتوب

اسم المؤلف: د. محمود الحفناوي الأنصاري

عدد الصفحات: ١١٢ صفحة

سنة الطبع: ٢٠٢٠م

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢٨٤٥

الترقيم الدولي

٩٧٧-٦٧٦١-٤٤-٥

دار الأمل

صناعةُ فكر ومنارةُ وعي

Daralamal2014@gmail.com

الجوال: 6 0100028216

إهـداء

* إلى كل شباب وفتاة غَرِقَا في بحر الذنوب والمعاصي والآثام.
* إلى كل تائه في فيافي الشهوات والملذَّات.
* إلى كل من يسير في ظلمات الجهل والهفوات والزلات.
* إلى كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها.
* إلى الدعاة المخلصين وشباب الصحوة أجمعين.

أُهدي لكم جميعًا هذه الرسالة المتواضعة غفر الله لي ولكم

إهداء من

أ. د. محمود الحفناوي الأنصاري

Mahmod_madany@yahoo.com

نداء إلى الدعاة والخطباء

كـم من غريق في بحر الذنوب والمعاصي والآثام يحتاج إلى يد صدقٍ تنشله من هذا البحر؟

وكم مـن تائه في مسـتنقع الكبائر والصغائـر من الذنوب يحتـاج إلى مرشـد ناصـح أمـين مخلـص يرشـده إلى الطريـق المستقيم؟

وكم مـن مذنب في ظلـمات الجهل والطغيـان، في ظلمات ثلاث إذا أخرج يده لم يكد يراها يحتاج إلى من يشعل له شمعة الهداية يستضيء بها ويرى الحق فيتبعه؟

أيها الدعاة:

أقبلـوا عـلى الله وتوبوا مـن التفريط والتقصـير في الدعوة إلى الله تعـالى وفي حـق المذنبـين، فأمروا بالمعـروف وانهوا عن المنكر وأرشـدوا التائهـين الضالين المذنبـين إلى الحق والطريق المستقيم.

المقدمة

الحمد للهِ غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ ذي الطول]، لا إله إلا هو إليه المصير.

الحمد للهِ العزيزِ الغفارِ، القوي الجبارِ، مكور الليلَ على النهارِ، يغفر للمستغفرين بالأسحار.

الحمد لله الذي يبسطُ يدَه بالنهار ليتوبَ مسيء الليل ويبسط يدَه بالليل ليتوبَ مسيء النهار.

الحمد لله الذي يقبلُ توبةَ العبد ما لم يغرغرْ، وما لم تخرجْ الشمس من مغربها.

الحمد لله الذي يسترُ على عبادِه المذنبين، ويحبُ إليهم التوبة أجمعين، ويغفرُ لهم يَومَ الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نذنبُ ويسترنا، نعصي ويرزقنا، نقصرُ ويمُهلنا، نفرطُ ويرحمنا، ونتوبُ إليه فيقبلنا.

سبحانك ربنا ما أعظمك! سبحانك ربنا ما أكرمك!

سبحانك ربنا ما أحلمك! سبحانك ربنا ما أعلمك!

سبحانك ربنا ما ألطفك!

سبحانك سبحانك، لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

نعمك علينا تترى، لا تعد ولا تحصى، فلك الحمدُ ربنا في والأولى والآخرة ولك الحمد حتى ترضى.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفيه من خلقه وحبيبه إمام الزاهدين، وسيد المستغفرين، وخاتم المرسلين، الرحمة المهداة، والنور المبين، والسراج المنير.

فاللهم صلّ عليه في الأولين، وصلّ عليه في الآخرين، وصلّ عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين. وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهداه واستن بسنته، وعمل بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: تسلط علينا الأعداء، فاستباحوا بيضتنا، واستأصلوا شأفتنا، واستحلوا المال والأرض والعرض فيا ترى ما السبب؟

ارتفعت الأسعار، ارتفاعًا شديدًا لم نر له مثيلًا من قبل، في السلع الأساسية، والضرورية، والاحتياطية، فيا ترى ما السبب؟

ظهرت الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا من قبل: هذا الإيدز، وهذا السرطان، وهذا الوباء الكبدي، وهذا الفشل الكلوي عافاني الله وإياكم وسائر مرضى المسلمين فيا ترى ما السبب؟

سقط الأقصى أسيرًا، وكذلك بغداد، والشيشان وأفغانستان وسوريا واليمن وليبيا.... وغيرهم الكثير والكثير، فيا ترى ما السبب؟

نزل البلاء فعم وطم، عم الصالح والطالح، المؤمن والعاصي، فيا ترى ما السبب؟

إنه سبب واحد لا ثاني له ولا ثالث له.

إنها الذنوب.

من أجل ذلك كتبتُ هذه الرسالة **(هيا بنا نتوب!!)**.

ما تسلط علينا الأعداء إلا بشؤم ذنوبنا، وما ارتفعت الأسعار وانتشرت الأمراض والأوجاع إلا بالمعاصي والآثام.

وما ضاع الأقصى إلا بالانصراف عن الكتاب والسنة.

من أجل ذلك كله كُتبتُ هذه الرسالة.

محاولـة منـي في الإصلاح، وعـودة بالأمة مـرة أخرى إلى ربها ودينها وسنة نبيها.

- كتبتهـا وأردت لهـا أن تكـون سراجًـا منـيرًا للذين يتخبطون في ظلمات الجهل والمعاصي والآثام.
- كتبتها وأردت لها أن تكون عونًا للدعاة والخطباء.
- كتبتها وأبتغي بها الأجر من الله تعالى.
- كتبتها ولكم غنمها وعليّ غرمها.
- كتبتها ولا أسألكم عليها أجرًا، إن أجري إلا على الله.
- كتبتهـا وأرجو مـن الله أن ينفع بها كاتبهـا وقارئها، وطابعها وموزعها وكل من ساهم في نشرها.
- كتبتهـا فإن كان فيها صواب فمن الله، وإن كان فيها خطأ فذلك مني، ومن الشـيطان، والله ورسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه بريئان.
- كتبتها والفضل والمنّة لله وحده لا شريك له.
- كتبتها وأهديها إليك، فاقبلها مني.

كتبتها وهي تدور حول العناصر الآتية:

أولًا: لماذا نتوب؟

ثانيًا: صور مشرقة من توبة صادقة.

ثالثًا: من أي شيء نتوب؟

رابعًا: شروط التوبة.

وأخيرًا: علامات صحة التوبة وأقسام الناس في التوبة.

ورسالتي هذه حوار بيني وبين شاب عاصٍ مذنب، فسميته التائب استبشارًا بتوبته ورجاءً في توبته وعودته.

فاللهم اقبلها مني واغفر لي ذنبي وتفريطي وتقصيري واجعلها يا رب لي في ميزان الحسنات، واغفر لي يوم العرصات، واغفر لوالدي ولزوجاتي وأولادي، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات... آمين.

أحبتي في الله

التفريط والخلل والتقصير والزلل، من صفات الإنسان؛ والعصمة للأنبياء.

فما وجدتم فيها من خلل وزلل فاستروه وابعثوا لي به وانصحوني به، فجزى الله خيرًا من أهدى إلى عيوبي، وما وجدتم من خيرٍ فانشروه وبلغوه واملؤوا به الأرض.

ولا تنساني أيها الحبيب من دعوة صالحة إن وقعت هذه الرسالة تحت يديك، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبها

راجي عفو ربه

أ. د. محمود الحفناوي الأنصاري

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية العالمية

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولزوجاته

وأولاده ولسائر المسلمين

alhefnawy200022@gmail.com

برج العرب - الإسكندرية - مصر

في ١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ.

الموافق ٢١/ ١ /٢٠٢١م.

لماذا نتوب؟

الداعيـة: أخـي الحبيـب أراك مفرطًـا مقـصرًا عاصيًـا، للصلاة تـاركًا، للمسـاجد هاجـرًا، للأغاني سـامعًا، للأفلام والمسلسلات مشاهدًا، للدخان شاربًا، وللمخدرات متعاطيًا، وللزكاة مانعًا، ولحرمات الله منتهكًا، ولحدود الله متعديًا، وعن الطاعة منصرفًا.

فإلى متي تظل هكذا، لماذا لا تتوب؟ لماذا لا تعود إلى الله؟ أيها العاصي المذنب المفرط، أدعوك فأقول: هيا بنا نتوب؟

التائب: لماذا نتوب؟

الداعية: نتوب لأن الله أمرنا أن نتوب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

من المُنَـادِي؟ الله، ومن المُنادَى؟ الذيـن آمنوا، انظر ناداك بعنوان الإيمان، ناداك أنت أيها الطائع، ناداك أنت أيها المصلي،

نـاداك أنـت أيهـا الصائـم المزكـي، اختـص الله المؤمنـين دون غيرهـم، فلم يقل: يا أيها الذين أسرفوا على أنفسـهم، أو يا أيها الناس، أو يا أيها المسلمون، لماذا المؤمن؟!

لأن المؤمن حيّ، ومن طبيعة الحي أنه يسـمع، وإذا سـمع أجـاب؛ لذلك نـاداك بعنـوان الإيـمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾. [النور:٣١]

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود:٩٠]. إذًا نتوب لأن الله أمرنا أن نتوب.

نتـوب لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمرنـا أن نتوب: عن الأغرّ ابـن يسـار المـزني رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قـال: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«يـا أيها النـاس توبوا إلى الله واسـتغفروه؛ فإنـي أتوب في اليوم مائة مرة»**[(١)].

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٥).

وعـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سـمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول: «**والله إني لأسـتغفر الله وأتوب إليـه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١).

وكان ابن عمر يقول: كنّا نعدُّ لرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلـس الواحـد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتـب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»(٢).

أيـــها الحبيب

إذا كان هذا هو حال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قد غُفر لـه ما تقدم من ذنبه ومـا تأخر، ولم يرتكب ذنبًا، ولم تحدثه نفسـه بخطيئة، ولم يهمَ بمعصية، ولم يقترف إثمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، ومائة مرة، وفي المجلس الواحد يُعد له: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه مائة مرة.

ماذا يفعل أصحاب المعاصي والذنوب أمثالنا؟! نسأل الله المغفرة والرحمة.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

لماذا نتوب؟

نتوب لكي يُرفَعُ عنا عذاب الله ونقمه؛ فالتوبة والاستغفار هي الأمان الوحيد من ذلك كله.

فالتوبة والاستغفار سياج واقٍ وأمان من عذاب الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، وإذا كانت هذه الآية في مشركي قريش؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد روى الترمذي من حديث أبي بُردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنزل الله عليَّ أمانين لأمتي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، فإذا مضيتُ تركتُ فيكم الاستغفار إلى يوم القيامة**»(١).

ويشهد لهذا حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح**

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٩)، وانظر: «سنن الترمذي» (٣٠٨٢)، وقال: حديث غريب، قال الألباني: ضعيف الإسناد.

أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله جعل في هذه الأمة أمنين، لا يزالون معصومين، مجاريين من قوارع العذاب ما دام بين أظهرهم، فأمان قبضه الله إليه، وأمان بقي فيكم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]. وعن فضالة بن عبيد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

روى الشيخان من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أبا جهل قال: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠)، وانظر: «المسند» (٣/ ٢٩، ٤١)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، انظر: «المستدرك» (٤/ ٢٦١)، وانظر: «الاستغفار وثمراته في الكتاب والسنة» (ص١٣١-١٧٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠) وانظر: «المسند» (٦/ ٢٠).

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال٣٣، ٣٤][(١)].

فعلى المسلم أن يتبصر أهمية الاستغفار وشأنه وأثره في رفع العذاب أو دفع النقم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فإن العذاب إنما يكون على الذنوب، والاستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب الذنوب فيندفع العذاب كما ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود:٣].

فبيَّن سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك مُتِّعوا متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل»[(٢)]. ويرى ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن العذاب الذي يدفعه الاستغفار يعم

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٤٩)، «صحيح مسلم» (٢٧٩٧).
(٢) «التفسير الكبير» لابن تيمية (٤/ ٣٤٠).

العذاب السماوي ويعم ما يكون من العباد؛ وذلك أن الجميع قد سماه الله عذابًا»[١]. والعذاب الذي يدفع بالاستغفار الفتن وتفرق الأمة شيعًا وإذاقة بعضها بأس بعض كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية في تفسيره[٢].

فالعذاب بأنواعه كلها ظاهرًا وباطنًا في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة يُدفع بالاستغفار والتوبة[٣].

الداعية: هيا بنا نتوب؟

التائب: لماذا نتوب؟

الداعية: نتوب ليرفع عنّا الغلاء، نتوب ليرفع عنا البلاء والوباء والزلازل، والأمراض والمحن، نتوب لكي تتوحد صفوف الأمة وتجتمع كلمتها، ويُلم شملها.

نتوب ليرفع عنّا تسلط الأعداء ونُنصر على عدونا، ونحرر الأقصى الأسير، ونطهر الأرض والمال والعرض، هيا بنا نتوب؟

---

(١) «نفس المصدر السابق».

(٢) «التفسير الكبير» لابن تيمية (٤/ ٣٤٣).

(٣) بتصريف من كتاب «الاستغفار وثمراته في الكتاب والسنة» د/ سليمان الصادق البيره (١٧٢-١٧٦).

التوبة النصوح

التائب: كيف نتوب؟

الداعية: نتوب إلى الله توبة نصوحًا.

التائب: وكيف تكون التوبة النصوح؟

الداعية: التوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب وغفار الذنوب مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح العائدين، ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر، ارتحل به واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية الطريق ونهايته ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وهذه الآية مدنية[١] خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة، وأتى بكلمة (لعل) إيذانًا بأنكم إذا

(١) سورة [النور:٣١].

تبتم كنتم على الفلاح، فلا يرجع للفلاح إلا التائبون، جعلَنا الله منهم ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، فقسم العباد إلى تائب، وظالم، وليس ثَمَّ قسم ثالث، وأوقع اسم الظلم على من لم يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه، وآفات عمله، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١)، وهو أعلم الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ.

والتوبة هي رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين.

حبيبي في الله

هيا بنا نتوب إلى الله توبةً نصوحًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ

(١) سبق تخريجه.

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم:٨].

التائب: أيها الداعية، إني أذنبت ذنوبًا كثيرة صغيرة وكبيرة، وقد فعلت كل الذنوب وأنا جاهل غافل مفرط مقصر.

الداعية: أيها التائب الحبيب، لا تحزن مهما عظمت ذنوبك؛ فرحمة الله أوسع وأعظم، فلا تيأس ولا تقنط من رحمة الله، وإليك بعض المبشرات من كلام خاتم النبوات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنصح في التوبة: هي تخليصها من كل غي.

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه**»(٢). وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(١) رواه مسلم (١٧/ ٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٢٥) الذكر والدعاء.

عـن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(١)]، **والغرغرة**: هي بلوغ الروح الحلقوم.

قال الحسـن البصري: «هـي أن يكون العبـد نادمًا على ما مـضى مجمعًـا على ألَّا يعـود فيه». وقـال الكلبي: «أن يسـتغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن».

وقـال سـعيد بن المسـيب: «توبـة نصوحًـا، تنصحون بها أنفسكم».

وقال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميـم جميع الذنـوب واسـتغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

الثانـي: إجمـاع العـزم والصـدق بكليتـه عليهـا بحيـث لا يبقـى عنده تـردد ولا تلوّم ولا انتظار، بـل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

(١) رواه الترمذي (١٣/ ٥٨) الدعوات، وأحمد (٦١٦٠) شاكر، ابن ماجه (٤٢٥٣)، والحاكـم (٤/ ٢٥٧) التوبة، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسـن غريب، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، وحسنه الألباني.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ حاجته، وحرمته ومنصبه ورياسته، ولحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو الهروب من ذمهم، أو لئلا تتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عَزَّوَجَلَّ.

فالأول: يتعلق بما يتوب منه، **والثاني:** يتعلق بذات التائب، **والثالث:** يتعلق بمن يتوب إليه، فتصح التوبة بالصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهي أكمل ما يكون من التوبة[١].

حبيبي في الله

هذه هي التوبة النصوح التي نريدها، توبة من جميع الذنوب؛ صغيرها وكبيرها، دقها وجلها، عظيمها وحقيرها.

(١) «البحر الرائق في الزهد والرقائق» أحمد فريد (١٥٧-١٦٢).

توبـة صادقة نصوح بالإقلاع عن الذنب وندم عليه وعزم على أن لا يعود إليه أبدًا، قاصدًا بها وجه الله تعالى، راجيًا بها مغفرته ورحمتـه، مقرًّا بذنبه، عارفًا عالمًا بأنه لا يغفر هذه الذنوب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مريـدًا إصـلاح نفسـه بهذه التوبـة، وإصلاح الأمة الإسلامية بأسرها.

والذي يدفعنا لهذه التوبة النصوح هو خوفنا من انتقام الله وغضبه وعقابه والطرد من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لأننـا نعلـم أن إبليـس لُعِـنَ وأُهْبِـطَ من منـزل العز بترك سـجدة واحدة أُمـر بها، وأُخـرج آدم من الجنة بلقمـة تناولها، وحُجـب القاتـل عنهـا بعد أن رآهـا عيانًا بملء كـفٍّ من دم، وأمـر بقتـل الـزاني أشـنع القِتـلات بإيلاج قـدر الأنملـة فيما لا يحلّ، وأُمر بإيسـاع الظهر سـياطًا بكلمة قذفٍ أو بقطرة من مُسـكرٍ، وأبـان عضوًا من أعضائـك بثلاثة دراهـم، فلا تأمنه أن يحبسـك في النـار بمعصية واحدة مـن معاصيه ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٥].

«دخلت امرأة النار في هرة»[١]، و«إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢]، «وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جاء في المعصية يختم له بسوء عمله فيدخل النار»[٣].

العمر: بآخره، والعمل: بخاتمته:

التائب: إذًا الأمر خطير جد خطير!

الداعية: اعلم أخي أن العمر بآخره والعمل بخاتمته.

ومن أحدث قبل السّلام بطل ما مضى من صلاته، ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه هدرًا، ومن أساء في آخر عمره لقيَ ربه بذلك الوجه.

لو قدمت لقمةً وجدتها، ولكن يؤذيك الشّرَه.

---

(١) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢) عن ابن عمر.

(٢) البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨) عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود (٢٨٦٧)، والترمذي (٢١١٨)، وابن ماجه (٢٧٠٤)، وأحمد (٢/ ٢٧٨) عن أبي هريرة، وفي سنده شهر بن حوشب، وهو إلى الضعف أقرب.

كم جاء الثوابُ يسعى إليك؟ فوقف بالباب، فردّه بوّاب «سوف» و«لعل» و«عسى»!!.

كيف الفلاح بين إيمانٍ ناقصٍ، وأملٍ زائدٍ، ومرضٍ لا طبيب له ولا عائد، وهوًى مستيقظٍ، وعقلٍ راقدٍ، ساهٍ في غمرته، عمهٍ في سكرتِهِ، سابحٍ في لجة جهله، مستوحشٍ من ربه، مستأنسٍ بخلقهِ، ذِكْرُ الناس فاكهتُه وقوتهُ، وذِكْرُ الله حبسهُ وموتهُ، لله منه جزء يسيرُ من ظاهره، وقلبُه ويقينه لغيره؟!

لا كان من سواك فيه بقية

يجدُ السبيل بها إليه العُزلُ[١]

من أجل ذلك كله حبيبي في الله نريدها توبة نصوحًا عاجلًا غير آجل.

(١) «فوائد الفوائد» لابن القيم، بتحقيق علي بن حسن الحلبي (٣٨٩-٣٩٠).

صور مشرقة من التوبة النصوح

التائب: وهل هناك صور حقيقية وقعت على أرض الواقع لمذنبين تابوا هذه التوبة النصوح؟

الداعية: نعم هناك صور لمذنبين تابوا إلى الله توبةً نصوحًا من السلف والخلف، وإليك بعض الصور في عجالة.

الصورة الأولى: توبةُ تَسعُ سبعين:

عن أبي نُجَيد -بضم النون وفتح الجيم- عمران بن الحصين الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه عليّ، فدعا نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني**» ففعل فأمر بها نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟! قال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**؛

وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وفي رواية لأبي داود: من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن امرأة -يعني من غامد- أتت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: إني قد فجرتُ، فقال: «**ارجعي**» فرجعت، فلما كان الغد أتته فقالت: لعلك أن تـرُدَّني كما رددت ماعز بن مالك؟ فوالله إني لحبلى! فقال لها: «**ارجعي**» فلما كان الغد أتته، فقال لها: «**ارجعي حتى تلدي**» فرجعت فلما ولدت أتته بالصبي فقالت: هذا قد ولدته. فقال لها: «**ارجعي فأرضعيه حتى تفطميه**» فجاءت به وقد فطمته وفي يده شيء يأكله، فأمر بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فحفر لها، وأمر بها فرجمت، وكان خالد فيمن يرجمها، فرجمها بحجر فوقعت قطرة من دمها على وجنته، فسَبَّها، فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مهلًا يا خالد؛ فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكسٍ لغفُر له**» وأمر بها فصُلي عليها ودفنت[(٢)].

(١) رواه مسلم (١٦٩٦)، وأحمد (١/ ٣٧٠)، وأبو داود (٤٤٤٠).
(٢) أبو داود (٤٤٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

أيها التائب إلى الله

هيا بنا نعيش هذه اللحظات، مع هذه التوبة النصوح، لنتعلم كيف تكون التوبة النصوح؛ لأنه بالمثال يتضح المقال.

هذه المرأة الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خانتها نفسها، وأذلها شيطانها ووقعت في هذه الكبيرة، وهي جريمة الزنا، ولكن سرعان ما عادت إلى ربها تائبة نادمة، عازمة على ألا تعود إليها أبدًا.

ومع ذلك حرارة الذنب تحرقها، وتقلق فؤادها، حاولت بعد التوبة أن تكتم هذه المعصية في نفسها فلم تستطع.

فالخوف من الله ومن عذابه حال بينها وبين ذلك فاستجمعت قواها وذهبت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعلن توبتها، ويطهرها من هذا الذنب، ويقيم عليها الحد فتنجو من عذاب يوم القيامة.

فرَدَّها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لعلها تراجع نفسها ولا تأتي مرة أخرى، ولم يرسل معها أحدًا، أو يحبسها في حبس أو يضع عليها رقيبًا؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يتتبع أصحابه، لا تنس هذه الجملة يومًا من الأيام، فكان يتركهم للإيمان الذي خالط بشاشة قلوبهم.

ولكن سوط الخوف من الله، ومراقبة الله أعظم من ذلك كله، وكأني بها لم تستطع النوم تلك الليلة.

فأتته في الصباح؛ لتخبره بما هو أدهى من ذلك وأعظم وهو أنها حبلى من الزنا؛ لتثبت له بأنها عاقلة راشدة تدري ما تقول، وليس بها جنون، هذه الجريمة، وهي أنها حبلى من الزنا.

فردها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرة الثانية؛ لعلها تتوب بينها وبين ربها، ولكنها تأبى إلا إقامة الحد عليها، فجاءت في اليوم التالي للمرة الثالثة، وهي تعلم في كل مرة تأتي فيها أنه لن يردها هذه المرة، وهي تتمنى أن يقيم عليها الحد؛ ليطفئ نار الذنب التي تشتعل في قلبها وجسدها فلا تهنأ بنوم، ولا تذوق طعمًا للراحة، فهي تتقلب في جمرات ملتهبة، من الندم والحسرة على هذا التفريط في جنب الله، وهذه الكبيرة التي تخشى بسببها من عذاب الله وعقابه، وكأني بها تقول: اليوم يطبق عليّ حد الله، ويسكن قلبي وتنطفئ ناري، وتبرد حرارة ذنبي، فمن طبق عليه الحد في الدنيا بعد التوبة الصادقة؛ ينجو من عذاب الله يوم القيامة برحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي وسعت كل شيء.

ولكـن في كل مـرة يردهـا، فيخيـب أَملُها وتُـزاد حسرتها ويبطل رجاؤها، فتتمنى أن لم تكن وُلِدَت قبل ذلك اليوم.

وفي المـرة الثالثـة قـال لهـا ﷺ: «**ارجعـي حتـى تضعي حملك**»، فعادت إلى بيتها ومكثت تسـعة أشـهر تعاني من آلام الحمل وآلام المعصية، ومضت عليها الأشـهر التسعة كأنها تسـع سنوات، فلما وضعته فرحت؛ لأنها سوف تتخلص مـن آلام هذه المعصية ومعاناتها، كـما تخلصت من آلام الحمل والوضع، فجاءت به في خرقة لرسول الله ﷺ وعرفته بنفسـها، فأمرها أن تعود لكي يتـم الرضاعة، ويأخذ حقه من الرضاعة.

وكأني بها الآن عائدة من عند رسول الله ﷺ حزينـة منكسرة، تقدم رِجْلًا وتؤخر أخرى، ودموعها تسـابق قدميهـا، ثـم تعـود بعـد عامـين بولدها ومعـه كـسرة في يده، كأنهـا تقـول لرسـول الله ﷺ ها هو قد اسـتغنى عني وبـدأ يأكل فطهرني من هذه المعصية؛ لألقى ربي الذي عشـت

استغفره وأتوب إليه وأدعوه وأرجوه وأطلب منه العفو والغفران طول فترة الحمل والإرضاع، تريد أن تجف عينها عن البكاء، وأن تنطفئ نار هذه المعصية والكبيرة، فأمر بها وشُدّ عليها ثوبها ورجمت.

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم.

ولم لا وهي في كل مرة تعود بنفسها ولا يبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبها، ولم يجعل عليها رقيبًا إلا نفسها وخوفها من ربها، وكان بإمكانها أن تهرب وأن لا تعود مرة أخرى.

أيها الحبيب في الله

ولكنها التوبة الصادقة النصوح التي تدفع صاحبها دفعًا إلى الله تعالى.

وهل هناك توبة أعظم من أن تجود بنفسها لله وتضحي بنفسها في سبيل الله تعالى؟!

وفي روايـة أبي داود أنه قال: «**تابت توبة لو تابها صاحب مُكسٍ لغفر له**».

وصاحـب المَكـس: قـال في النيـل: بفتـح الميم وسـكون الـكاف بعدها مهملـة هو من يتولى الضرائـب التي تؤخذ من الناس بغير حق..

وقـال النـووي: « فيـه أن المَكس مـن أقبح المعاصي والذنوب الموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظالماتهم عنـده، وتكرر ذلـك منه وانتهاكه للناس، وأخـذ أموالهم بغير حقها وصرفها في غير وجهها[1].

هذه هي التوبة الصادقة النصوح التي نحتاج إليها في هذه الأيام من الكبير والصغير.

التائب: هذه التوبة كانت على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّى لنا بمثلِها في هذه الأيام؟!

الداعيـة: إنهـا تتكرر في هـذه الأمة في كل زمـان ومكان ومع توبة حسان من هذا العصر.

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٧/ ٥٠٧).

توبــة حســان

الصورة الثانية: «ما خُلقَت النارُ إلا من أجل حسان»[١]:

إن ثلاثة من الشباب تعاهدوا مع الشيطان على المعاصي والذنوب والآثام، وفجأة أذن الله بتوبة أحدهم فتاب، فبدأ يدعوا إخوانه إلى التوبة، فدعا أخاه الثاني إلى التوبة فتاب، ودعا أخاه الثالث إلى التوبة فتاب، فقالوا: إن الله تعالى هدانا إلى الإيمان ومنَّ علينا بهذه التوبة فهيا بنا نجتهدُ في الطاعة، ونُعاهدُ اللهَ على الطاعة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: نستيقظ كل يوم قبل الفجر بساعة، نذهب إلى المسجد نصلي نتضرع بالدعاء، نستغفر نتوب نبكي على ما مضى من العمر في المعاصي والذنوب والآثام، عسى الله أن يغفر لنا.

وكل يوم يكون الدور على واحد منهم يوقظهم في هذا التوقيت وبالفعل بدؤوا، وفي يوم من الأيام تأخر من كان عليه الدور منهم، وإنه لم يتأخر كثيرًا إنما تأخر نصف ساعة فقط، وهم في طريقهم إلى المسجد مرّ عليهم شاب بسيارته الفارهة، يخرج منها صوت

(١) هذه القصة ذكرها الشيخ/ خالد الراشد في شريطه (من حال إلى حال).

الصخب والغضب والموسيقى الصاخبة، التي لا أدري والله كيف يتمتعون بسماعها؟! ولكن أقول: الحمد لله الذي عافانا من هذا البلاء وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فقال أحدهم للآخر: هيا بنا ندعوه إلى الله عسى الله أن يتوب عليه، فركبوا سيارتهم وانطلقوا خلفه، وعند الإشارة أشاروا إليه فلم يلتفت إليهم، حاولوا أن يكلموه فلم ينتبه، فلما أضاءت الإشارة انطلق وانطلقوا خلفه فضيقوا عليه الطريق حتى أوقفوه، فوقف على قارعة الطريق. وقال في نفسه: هؤلاء يريدون أن نتضارب، ونزل من السيارة ثلاثة من الشباب بيض الوجوه، بيض الثياب، وجوههم كالبدر من أثر الطاعة، فقالوا له: السلام عليكم، فقال في نفسه: من يريد أن يتضارب لا يلقي السلام! فرد عليهم السلام، وهنا وقفة.

وقفة دعوية

أقول: يا معشر الدعاة، ويا معشر الفضلاء القائمين بوظيفة الأنبياء وهي الدعوة إلى الله تعالى، تعلموا من هذه

القصة كيف تكون الدعوة، وكيف نتعامل مع العصاة، فإن دعوة العصاة تحتاج إلى رفق ولين في القول، فما وضع اللين في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وإن الله تعالى أرسل موسى وهارون إلى فرعون، وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، وهذا فرعون الذي يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أمرهما ربهما بهذا الأمر!

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، طغى وتجبر واستكبر وادّعى الربوبية، ومع ذلك يأمرهما أن يقولا له قولًا لينًا وهو من هو! فمن باب أولى أن نترفق مع العصاة من هذه الأمة؛ فمهما يفعل من الذنوب والكبائر فهو مازال يقول: (لا إله إلا الله) وهو مسلم، فيجب علينا أن نترفق معه في الدعوة ونخاطبه برفق ولين ولا نغلظ عليه القول، ولما دخل رجل على خليفة من خلفاء الدولة الأموية، وأغلظ عليه في القول والنصيحة، قال له الخليفة: يا هذا، إن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من هو أشر مني وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤] فاستحْي الرجل.

فيـا أحبـتي في الله: ترفقـوا بالعصـاة وادعوهـم إلى الله تعـالى بالرفق واللين والكلمة الطيبة والابتسـامة والإخلاص في النصيحة، وكونوا معهم كالطبيب مع المريض.

نعود إلى القصة:

فقالـوا لهذا الشـاب: يا هـذا، أتدري في أي سـاعة نحن؟ قـال: لا أدري، قالوا: نحن في ثلث الليل الأخير، قال: أعلم، قالـوا له: أتدري ما يحدث فيه، قـال: لا أعلم، قالوا له: إن الله ينـزل في الثلث الأخير من الليل إلى السـماء الدنيا، نزولًا يليق بجلاله وكماله وذلك في كل ليلة. فيقول: هل من تائب فأتوب عليـه، هل من سـائل فأعطيه، هـل من داع فاسـتجيب له[1]، أفلا تتوب إلى الله تعالى في هذه السـاعة، وتسـتغفر الله وترجع إليه، عسى أن يغفر لك.

فضحك من قولهم ضحكةً عاليةً بسـخرية، شقت صمت الليل الدامس، ومزقت سكون الليل الهادئ.

(١) هـذه من حديـث رواه البخاري، كتـاب الجمعة، باب الدعـاء في الصلاة في آخر الليل، رقم (١١٤٥).

ثم قال: حسان يتوب؟! وكان اسمه حسان.. والله ما خلقت النار إلا لحسان!!!

فارتجفت قلوبهم من هول هذه الكلمة، واقشعرت أبدانهم وارتعدت أطرافهم، ولكن هل يتركونه؟ لا والله؛ فإنك لو رأيت رجلًا يريد أن يلقي بنفسه في بئر لكي يموت، هل تتركه يلقي بنفسه؟ بالطبع لا، حتى وإن زجرك ونهرك ونهاك، وقال: أنا حرٌّ في نفسي، فإنك لن تتركه، وهكذا ينبغي أن يكون حالنا مع أرباب الذنوب والمعاصي والآثام، نحاول معهم لا نتركهم، ولا نيأس منهم، فما علينا إلا الهداية الإرشادية أما الهداية التوفيقية فهذه من عند الله تعالى، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ييأس من عمه أبي طالب حتى على فراش الموت، ذهب يدعوه إلى الله تعالى وهو يقول: «**يا عماه قل (لا إله إلا الله) أشفع لك بها عند ربي يوم القيامة**»[(١)] فقالوا له: ويحك يا حسان مهما بلغت ذنوبك، فرحمة الله أوسع وأعظم، إن الله تعالى يقبل توبة مَنْ تاب إليه،

(١) رواه البخاري، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله.

مـا لم تشرق الشـمس من مغربهـا، وما لم يغرغـر العبد، إن الله يقبـل توبـة مـن قـال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة:٧٣]، وتوبة مـن قـال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وتوبـة مـن قـال: ﴿عُزَيۡرُۢ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ أو قـال: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبـة:٣٠]، وقـال لهـؤلاء جميعًـا في كتابه العزيز مرغبًا لهم في التوبة ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائـدة:٧٤]، فبـاب التوبـة أمامـك مفتوح؛ فتُبْ إلى الله وعد إليه إنه هو التواب الرحيم.

فقال لهم: أتدرون على أي شيء أنا الآن، أنا على معصية بل على كبيرة من الكبائر، إني أنا الآن سكران، شارب للخمر.

قالـوا: وإن كنت قـد ارتكبت كبيرة، أو كثـيرًا من الكبائر لـو تبـت إلى الله لقبل توبتـك، يا حسـان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ

ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان:٦٨-٧١].

ويحك يا حسان! فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

يا حسان! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرت الله تعالى لغفرها لك، يا حسان لو أتيت الله بقُراب الأرض خطايا ثم لقيته لا تشرك به شيئًا لأتاك بقُرابها مغفرة(٢).

يا حسان! إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس مغربها تاب الله عليه**» [رواه مسلم](٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) كما في الحديث القدسي الذي رواه الترمذي رقم (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧-١٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٣).

فرَقَّ قلب حسان وزرفت عينه وقال: لو تبت إلى الله الآن يقبل الله توبتي!! قالوا: نعم لو تبت الآن يقبل الله توبتك.

فما زالوا به حتى أخذوه إلى بيت أحدهم واغتسل وخلع ثيابه ولبس ثوبًا أبيضَ نقيًّا، وذهبوا به إلى المسجد ليصلي معهم الفجر، وكأنهم على موعد مع الإمام، فقرأ الإمام في صلاة الفجر بأرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فبكى حسان وارتفع صوته بالبكاء وارتج المسجد من بكائه، وبعد الصلاة قال لهم: أريد أن أذهب إلى والدي الذي يصلي الفجر في مسجد كذا وكذا، ثم يجلس إلى طلوع الشمس فيركع ركعتي الشروق[1] فإني ضربتُه وعصيتُه وعققتُه كثيرًا، فأخذوه وانصرفوا به إلى والده ووصلوا المسجد بعد شروق الشمس فخرج من المسجد رجل أبيض الثياب أبيض اللحية

(١) حديث حسن رواه الترمذي (٥٨٦)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٩٧١).

يتوكأ على عصا، وكم من رجل في هذا السن يريد ابنه مفتول العضلات لكي يتوكأ عليه فلا يجده وله غدًا مثلها!

فقالوا له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليهم السلام، قالوا: إنّ ولدك حسان معنا، قال: حسان ولدي، أسأل الله أن يعذبه كما عذبني وأن يشوي وجهه في النار.

فوقع حسان على الأرض يتمرغ فيها من هول هذه الكلمات، قالوا له: مهلًا؛ فإن حسان ولدك تاب، قال: ولدي أنّى يتوب؟! قالوا: نعم والله إن ولدك حسان تاب، فأخذ بذراعه من الأرض واحتضنه وبكى الوالد وبكى حسان وبكى الجميع وفرح بتوبة ولده حسان فرحًا شديدًا، والله جَلَّ وَعَلَا أشدُّ فرحًا بتوبة حسان، وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: **«لَلّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاه، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده،**

فأخـذ بخطامها ثم قال من شـدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[(١)].

أيها التائب الكريم:

تاب حسـان إلى الله توبة صادقة، فبدأ يحفظ القرآن ويرتله ليـلًا ونهـارًا، وبدأ يصـوم الإثنـين والخميـس، والثالث عشر والرابـع عشر والخامس عشر من كل شـهر عـربي، بدأ يحافظ على الصلوات الخمس في جماعة وخاصة الفجر والعشـاء، بدأ يَبرُّ والديه ويحسـن إليهما، بدأ يتصدق على الفقراء والمسـاكين والأيتـام والأرامل، بدأ يعمل في الدعـوة إلى الله تعالى ويتعلم العلم الشرعي ويزاحم العلماء برُكَبِه.

هجـر أصدقـاء السـوء، وصاحـب الأخيار مـن المؤمنين الموحديـن، هجـر المعـاصي والذنـوب وأقبـل عـلى الفرائض والنوافل والقربات والطاعات، وبعد أن استقر الإيمان في قلبه وخالط بشاشة قلبه.

---

(١) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٧).

قـال لأبيه: يا أبتِ ائـذن لي في أن أذهب إلى أرض الجهاد، قـال: يا بنـي لم أتمتع بك وأنت طائع على قدر ما عذبتني وأنت عاص، ورفض أبوه.

قال: يا أبتِ إني ارتكبت من الذنوب والمعاصي والصغائر والكبائـر وأرى أن أكفرهـا بإراقـة دمـي في سـبيل الله تعـالى، فلا تبخل علي بالشهادة، ولازال بأبيه وإخوانه في الله حتى أذن له أبوه وذهب إلى أرض أفغانسـتان أرض البطولة والجهاد في عهـد مجاهدتهم للروس. فلما وصل إلى هناك جلس في مؤخرة الصفـوف يتعلـم فنـون القتـال، وضُرب بـه المثـل الأعـلى في الأخلاق والنشـاط والهمة، فقد كان في عون الصغير والكبير، وكان بالنهـار صائمًا، بالليـل قائمًا، كان بالنهار فارسًـا، بالليل راهبًا، نعم الأخ لإخوانه عونًا وأدبًا وخلقًا.

وتعلـم فنون القتال في أربعة أشـهر، ثم جلـس في مقدمة الصفـوف، فأغارت طائرات الأعـداء على مواقع المجاهدين، فبفضل الله تعالى لم تصب شيئًا، غير شظية خرجت من إحدى

القنابل واستقرت في جسد حسان، فوقع من أعلى الجبل يتمرغ في التراب حتى وصل إلى بطن الوادي، فلحق به إخوانه من خلفه، يا حسان ما الذي أصابك؟ فقال حسان: والله إني لأسمع صوت الحور العين تنادي من خلف هذا الجبل، ثم فاضت روحه إلى باريها، بعد أن نطق بالشهادة.

الله أكبر إخوتاه، حسان الذي قال: والله ما خلقت النار إلا لحسان، بعد أن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا، وعاد إلى الله يسمعُ صوت الحور العين تناديه من خلف الجبل، وهو في الحياة الدنيا ونال الشهادة! نحسبه ولا نزكيه على الله تعالى من الشهداء، ونسأل الله لنا وله المغفرة.

وقفة تربوية:

أيها الداعي الحبيب

إن في هذه القصة من العبر والعظات ما لم يعلمه إلا الله تعالى، انظر إلى مدى تفريطنا وتقصيرنا في الدعوة إلى الله.

كـم من غريق في بحر الذنوب والمعاصي والآثام يحتاج إلى يد صدق تنشله من هذا البحر؟

وكم مـن تائه في مسـتنقع الكبائر والصغائـر من الذنوب يحتـاج إلى مرشـد ناصـح أمـين مخلـص يرشـده إلى الطريـق المستقيم؟

وكم مـن مذنب في ظلـمات الجهل والطغيـان، في ظلمات ثلاث إذا أخرج يده لم يكد يراها يحتاج إلى من يشعل له شمعة الهداية يستضيء بها ويرى الحق فيتبعه؟

أيها الدعاة

أقبلوا على الله وتوبوا إليه من التفريط والتقصير في الدعوة إلى الله تعـالى وفي حـق المذنبـين، فأمروا بالمعـروف وانهوا عن المنكر وأرشـدوا التائهـين الضالين المذنبـين إلى الحق والطريق المستقيم.

من أي شيء نتوب؟

التائب: أنت تأمرنا بالتوبة وتدعونا للتوبة ونحن ولله الحمد نصلي ونصوم ونزكي ونحج ونفعل الخيرات فمن أي شيء نتوب؟!

وأنت تقول: إن الله تعالى طالبنا نحن أهل الطاعات بالتوبة وأرى أننا لسنا على شيء من الذنوب حتى نتوب، فمن أي شيء نتوب؟!

الداعية: الجواب على سؤالك بتوفيق العزيز الوهاب: إننا نحن أهل الطاعة نقع في صغائر بل والله كبائر ولا نشعر بها، بل ربما وقعنا في الشرك الأصغر ونحن لا نشعر بذلك.

فإني سوف أذكر لك بعض الكبائر والصغائر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وأسأل الله جَلَّوَعَلَا التوفيق والسداد والإخلاص.

نتوب أولًا من الإشراك بالله.

أيها التائب العائد:

فاعلم رحمك الله، أن البشر عبيد لله، وظيفة العبد أن يقوم بالعبادة، فالذي لا يقوم بالعبادة، ولا يؤدي وظيفته فقد ثار على فطرته، وفقد قيمته، وقوام العبودية تصحيح العقيدة والإيمان، فمن تطرق إلى عقيدته خلل، أو تعرض إيمانه لفساد؛ لم تقبل منه عبادة، ولم يصح له عمل، ومن صحت عقيدته، واستقام إيمانه؛ كان القليل من عمله كثيرًا، ومن هنا وجب على كل إنسان ألا يدخر وسعًا في تصحيح إيمانه، وأن يكون الحصول عليه، والاستيثاق منه غاية أمله، ونهاية سؤاله، لا يعدل به شيئًا، ولا يتأخر فيه دقيقة، وقد سلك الناس في هذا العصر في الدين طرائق قددًا، وتشعبوا شعبًا، فمنهم من يتمسك بعادات الأولين وتقاليد السابقين، ويعضّ عليها بالنواجذ، ومنهم من يحتج بحكايات الصالحين، وأساطير الأولين، ومنهم من يتشبث بكلام من تسمى بالعلماء، وامتاز بتشدق اللسان وحدة الذهن، ومنهم من ركب العقل في هذا الميدان،

ويرخي لها العنان مع العلم أن العقائد والشرائع لا تقوم على العقل والقياس، ولا ينفع فيها الذكاء وحِدَّة الذهن، إن مصدرها الوحي والشرع، وكان أفضل الأعمال أن يرد الإنسان كل ذلك إلى الله ورسوله، فيصدر عما ثبت منها، ويتحاكم إليه، ويتخذه بيانًا شافيًا، وحكمًا قاطعًا، فيقبل من قصص المشايخ والصالحين، ومن كلام العلماء والوعاظ والمذكرين، ما وافق الأصول والنصوص، وينبذ من الكلام والأحاديث ومن العادات والتقاليد ما خالفها[١].

لذلك أقول: هيا بنا نتوب من الشرك، وكأني أراك تقول: ما هو الشرك الذي أتوب منه؟

الداعية: أظنك لم تفهم الشرك الذي تتوب منه من الكلمات الماضية؟

التائب: لم أفهم الشرح الذي تقصده جيدًا!!

(١) «رسالة التوحيد» للشيخ إسماعيل عبد الغني الدهلوي (ص١٣، ١٤).

الداعيـة: دعنـي أوضـح لـك أكثـر؛ لعلـك تتـوب من الـشرك التوبة النصوح، فاعلـم أن الله يغفر لك الذنوب جميعًا إلَّا الشرك وذلك يوم القيامة[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

اعلـم رحمك الله، أن الشرك قد شـاع في النـاس في هذا الزمان وانتـشر، وأصبح التوحيد الخالص غريبًا، ولكن معظم الناس لا يعرفـون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الـشرك وتلوثوا به، فمـن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومـن المشـاهد اليـوم أن كثـيرًا مـن النـاس يسـتعينون بالمشـايخ والأنبياء والأئمة[٢] والشـهداء والملائكة، والجنيات

(١) وتفاصيل هذا الموضوع يأتيك في رسالتي (حُر أنت أم عبد؟).

(٢) يعني أئمـة أهـل البيـت الذيـن غلـت فيهـم الشـيعة، وأحاطوهم بهـالات من التقديـس والتعظيـم ويعتقـدون فيهـم العصمـة، والاطـلاع عـلى الغيـب، =

عند الشدائد، فينادونها ويصرخون بأسمائها، ويسألونها أو يطلبون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها القرابين لتسعفهم بحاجاتهم وتقضي مآربهم، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعًا في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي، وعبد الرسول، ويرسل بعض الناس ضفيرة في رأسه باسم ولي من الأولياء، وبعضهم يقلدونه قلادة باسم الشيخ أو ولي، وبعضهم يذبح حيوانًا بأسمائهم، وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة، وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم.

والحاصل: أنه ما سلك عُبَّاد الأوثان في القديم والحديث طريقًا مع آلهتهم، إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والملائكة والجنيات واتبعوا مع جيرانهم من المشركين شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وحذو القُذة بالقُذة، والنعل بالنعل، فما أجرأهم على الله! وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى!

= ويفسرون الأمانة تفسيرًا يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر بعض المسلمين بكثير من عقائد الشيعة بحكم الاختلاط بهم، والجهل بالإسلام.

وصدق الله العظيم إذ قال في سورة يوسف: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، فإذا عارضهم معارض وقال: أنتم تَدَّعون الإيمان، وتباشرون أعمال الشرك، فكيف تجمعون بين الماء والنار، وتؤلفون بين الضب[١] والنون[٢]!!

قالوا: نحن لا نأتي بشيء من الشرك، وإنما نبدي ما نعتقده في الأنبياء والأولياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله، واعتقدنا أنهم والله بمنزلة سواء، كان ذلك شركًا لا شك فيه، ولكننا لا نقول بذلك، بل نعتقد أنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، فهما مما أكرمهم الله وخصهم به، وما استعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله مكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحَكَّمهم في خلقه، ويفعلون ما يشاءون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله ووكلاؤنا عنده، فمن حظي عندهم، ووقع

(١) **الضب:** حيوان صغير يؤكل يوجد في الجزيرة العربية.

(٢) **النون:** حوت كبير.

عندهم بمكان؛ كانت له خطوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة، والحجج الداحضة، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

التائب: ولماذا يفعلون ذلك؟

الداعية: والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ، ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، ولو كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه؛ لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحاجونه بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها، فقال في سورة يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

وقد تبيَّن من هذه الآية، أن مَنْ عَبَدَ أحدًا من الخلق اعتقادًا بأنه شفيعه؛ كان مشركًا بالله، وقد قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

وقد نكب هؤلاء الجهّال عن طريق الحق وأعرضوا عن الله الذي هو أقرب إليهم من كل أحد، وأقبلوا على غير الله، واتخذوه ظهيرًا ونصيرًا ووليًّا من دون الله، وحرموا أنفوسهم النعمة الكبيرة، التي أنعم الله بها عليهم، فإنه يحقق جميع المطالب، ويرد جميع الآفات من غير واسطة فلم يشكروا هذه النعمة، ولم يقدرها قدرها، وأقبلوا على خلقه يوسطونهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات، ورفع الآفات، فعدو الميسور وفَضَّلوا ملتوى الطريق، وجاهدوا في غير جهاد، وبدلوا نعمة الله كفرًا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويبتغون في ذلك عند الله قربًا وزلفى، ولكنهم لم ينالوا بذلك مطلوبًا،

ولم يسعدوا بالقرب عند الله، بل بالعكس من ذلك، إن من اتخذ وليًّا من دون الله، وإن كان ذلك على أساس عبادة تقربه عند الله كان مشركًا بالله، كاذبًا كافرًا بنعمة الله. ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٨، ٨٩]، وقد تبيَّن من هذه الآية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يمنح أحدًا من خلقه قدرة التصرف في العالم، وأنه لا طاقة لأحد أن يدافع عن أحد[١].

إذًا أيها الحبيب:

هل بعد ذلك يصح أن نطوف بالقبور ونستغيث بالموتى والأولياء ونطلب منهم النصر والعون والتوفيق، ونذبح لهم وننذر لهم، ونستغيث بهم وندعوهم من دون الله، ونقيم لهم الموالد، ونتعامل معهم على أنهم آلهة من دون الله، هذا هو الذي يحدث عند الحسين والبدوي والشاذلي والمرسي والقنائي والجيلاني والإدريسي وغيرهم الكثير والكثير، ولا يكاد تخلو

(١) «رسالة التوحيد» للشيخ إسماعيل عبد الغني الدهلوي (١٦-٢٠).

قرية من هذه الأضرحة والمقابر، خاصةً بعد أن زينها لهم بعض من ينتسبون إلى العلم، وغرروا بالجهال فَضَلُّوا وأَضَلُّوا. أسأل الله الهداية للجميع.

فهيا بنا نتوب من الشرك.

أيعقل هذا؟ الله يرزق ونعبد غيره!! الله ينعم ونشكر غيره!! الله يعطي ونسأل غيره!! الله يستجيب ويُدْعَى غيره!! الله قادر ويُدْعَى عبدٌ ضعيف غيره!!

لعلك اقتنعت؟

التائب: نعم اقتنعت وسوف أتوب من الآن من الشرك ولن أجعل مع الله آلهة أخرى من اليوم، لا وليًّا ولا نبيًّا ولا هوًى ولا مالًا ولا دنيا، ولا غيرها من أنواع الآلهة وأظن أن التوبة من الشرك الأكبر والأصغر كافية.

الداعية: حسبك أيها التائب، فهناك ذنوب أخرى من الكبائر والصغائر، سوف أذكر لك بعضها في عجالة.

التائب: وما هي هذه الذنوب؟

الداعية: نتوب من الربا.

التائب: وأين الربا في هذا الزمان؟ هذه فوائد وليست ربًا. وهذه البنوك، القروض منها والمعاملات فيها والعمل فيها وغيرها كيف يكون ربا، وهناك من أحلّ هذه المعاملات البنكيّة.

الداعية: لحظة من فضلك ولا تستعجل علي، فسوف أوضح لك معنى الربا وحقيقة الربا.

أولًا: الآيات والأحاديث الواردة في خطورة الربا.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

[البقرة:٢٧٥-٢٧٩].

أظن هذه الآيات واضحة وضوح الشمس في كبد السماء، ومع ذلك انظر إلى أحاديث المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

★ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(١)]، (**الموبقات:** المهلكات).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه) وقال: «**هم سواء**»[(٢)].

(١) البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩)، وأبو داود (٢٨٧٤)، والنسائي (٣٦٧١).
(٢) مسلم (١٥٩٨).

★ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الربا ثلاث وسبعون بابًا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»(١). وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**درهم من الربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية**»(٢). وعن ابن عباس قال: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نشترى الثمرة حتى تطعم وقال: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية؛ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٣).

التائب: سبحان الله إن أمر الربا خطير جدًّا ولكن ما هو الربا وأنواعه؟

الداعية: إن الربا أنواع كثيرة مفصلة في كتب الفقه فراجعها، ولكن منها: كل قرض جَرَّ نفعًا فهو ربا، سواءً سمي

(١) **صحيح لغيره:** رواه الحاكم (٢/ ٤٣)، رقم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٩٤) رقم (٥٥١٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٢٥) برقم (٢٢٠٠٧).

(٣) **حسن لغيره:** أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣) رقم (٢٢٦١)، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هذا النفع فائـدة أو زيادة أو ربحًا أو غيرها، فهو ربا، وكذلك الأصناف السـتة وما ماثلها، الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُـر بالبُر، والتمر بالتمر، والملح بالملح، والشـعير بالشـعير، لابـد أن يكون يدًا بيد وهاءً بهـاءٍ، ومِثْلًا بمِثْـل، وكَيْلًا بكَيْل، ووزنًا بوزن، لا يجوز المقايضة بينهم إلا إذا اختلف الصنف.

وكذلـك: أيضًـا مـا يفعله بعـض الناس يرى سـيارة في معـرض أو بعض الأجهـزة الكهربائية وغيرهـا ثم يذهب إلى رجل ويطلب منه مالًا ليشـتري هذه السيارة نقدًا من المعرض ويرده على أقساط بكذا وكذا، فهذا الرجل لا يمتلك السيارة، وليس عنده معرض إنما كما يقولون: يسـتثمر أمواله؛ إنه الربا، وهنـاك أصناف كثيرة من الربـا، فراجع كتب الفقـه لتعرفها، فأقول لك: هيا بنا نتوب من الربا.

التائب: وكيف نتوب من الربا؟

الداعيـة: لا تأخـذ القروض الربويـة، ولا تدع مالك في البنك بفائدة، ولا تعمل في البنوك الربوية، ولا تشـترِ أصناف

الربـا إلا مِثْـلًا بمِثْل ويدًا بيدٍ وهاءً بهـاءٍ، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩].

الداعية: هيا بنا نتوب؟

التائب: من أي شيء نتوب؟

الداعية: نتوب من أكل المال الحرام

التائب: وكيف يكون أكل المال الحرام؟

الداعية: هناك صـور كثيرة لأكل أموال الناس بالباطل، أذكـر لـك بعضها، فعـلى سـبيل المثـال: التطفيـف في الميزان، والغش في التجارة، والغش في الزراعة، مثل وضع الهرمونات المضرة على الزراعات فتؤذي الإنسان، وكذلك رش المبيدات المسرطنـة، وكذلـك الغـش في الصناعـة، وكذلـك الرشـوة، وكذلـك سرقـة المال العـام، وكذلـك البيوع المحرمـة، والمال الـذي يأتني منه، مثل: بيـع النجش، والعِينـة والمصارّة، وبيع مـا لا يملك، وسـائر أنـواع البيـوع المنهي عنهـا التي وصلت

لأكثر من ثلاثين نوعًا، راجعها في كتب الفقه، وكذلك المَيْسِر، واليانصيب وغيرها.

فكل الأموال التي تأتيك من هذه الأنواع، وما على شاكلتها مالٌ محرم.

وأيضًا أكل مال اليتيم، وكذلك أكل ميراث الأخوات من البنات فهذا كله لا يحلُّ لك أن تأكله، أو تأخذه فإنه مالٌ محرم.

التائب: الآن فهمت، ولكن ما علاقة المال الحرام فيما نحن فيه من بلاء وغلاء وأمراض وزلازل وغيرها؟!

الداعية: هناك خطورة على الفرد بنفسه وهي **(لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به)**[1]، فالذي يأكل المال الحرام لا يقبل منه دعاء ولا صلاة ولا حج ولا صيام ولا غيرها من العبادات.

التائب: الآن فهمت لماذا يدعو المسلمون، ولا يستجاب لهم، وندعوا ونلح على الله في الدعاء ولا يستجاب لنا.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٤٠٣٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٦٠٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الداعية: اسمع معي إلى بعض الأدلة من الكتاب والسنة.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٨].

الأحاديث النبوية:

★ عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام**»(١).

★ وعن كعب بن عُجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا كعب بن عُجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت، النار أولى به، يا كعب بن عجرة، غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها، وغاد موبقها**»(٢).

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٨٤) حديث (٨٣)، البزار في «مسنده» (١/ ١٠٥) رقم (٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ١١٣)، حديث (٥٩٦١)، والبيهقي في «الشعب» بنحوه (٥/ ٥٦) رقم ٥٧٥٩).

(٢) **صحيح لغيره:** جزء من حديث رواه الترمذي حديث (٢٦١٤)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٥٥٦٧).

★ عـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**يأتـي على النـاس زمان لا يبالي المرء ما أخذ، أمن حلال أم حرام**» [رواه البخاري والنسائي]، وكأنه يصف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الزمان! وإلى الله المشتكى.

★ عـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك، ومن جمع مالًا حرامًا ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر، وكأن أمره عليه**»(١).

★ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر**

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود في «المراسيل» (٤/ ١١٠) حديث (٢٤٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ١١) حديث (٢٣٢٥١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٨) حديث (١٤٤٠).

أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك!»[(١)].

★ وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك، وما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»[(٢)].

أيها التائب الكريم

بعد أن سقت هذه الباقة من الأحاديث، أقول: إن الفيصل في إجابة الدعاء، وقبول الصلاة والزكاة والحج، وسائر الأعمال الصالحة هو أكل الحلال، حتى إن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ سئل: أي الرجال من أهل السنة؟ قال: « هو الذي يأكل الحلال»[(٣)].

(١) رواه مسلم حديث (١٠١٥)، والترمذي حديث (٢٩٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٧٧)، حديث (٦٦٥٢)، والمنذري في «الترغيب» رقم (٢٥٦٢).

(٣) من كتاب «هذا عقل الصديق» للمصنف (ص٢٤٨).

التائب: يا سبحان الله ما كنت أتصور أنَّ أكل الحرام بهذه الخطورة! وأنَّ أمره عظيم إلى هذه الدرجة، ولكن إني تبت الآن، فماذا أصنع في الأموال التي وصلت إليّ بطريقٍ غير مشروع، فإن هناك أصحابًا لها أعرفهم، وآخرون لا أعرفهم، فماذا أصنع في هذه الأموال حتى يقبل الله توبتي؟

الداعية: الأمر سهل ويسير، إذا كان صاحب المال معلومًا؛ فإن الفقهاء اتفقوا على أن المال الحرام إذا عرف صاحبه أنه يجب أن يرد ماله إليه، إن كان حاضرًا، وإن كان غائبًا انتظر حتى يعود، ويبحث عنه إذا جهل محل إقامته، فإن بحث عنه ولم يجده أو وجده قد مات؛ فالواجب رد ماله إلى ورثته؛ لأن المال آل إليهم ميراثًا بموت مورثهم فأصبحوا الأصحاب الشرعيين لهذا المال، وإن كانت قد حدثت زيادة في هذا المال أو منفعة فإنها ترد مع الأصل إلى صاحبها[1].

وإن كان صاحب المال مجهولًا: فإن جمهور أهل العلم من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وابن حزم من

(١) كتاب «أحكام المال الحرام» د/ عباس أحمد محمد الباز (ص٣٣٧).

الظاهريـة أن المال الحرام الذي لا يُعرف مالكه يذهب إلى أَوْلى الناس به من الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة، أو يجعل في مصالح المسلمين العامة، فقاعدة الشرع أن كل مال حرام كان مالكـه مجهولًا لا يجوز أن يظـل في يد حائزه وإنما يجب التحلل منه وصرفه إلى مستحقيه(١).

التائب: جزاكم الله خيرًا، وسوف أفعل إن شاء الله.

التائب: هل هناك ذنوب أخرى؟

الداعيـة: نعم؛ عقـوق الوالديـن، هذا من أكـبر الكبائر ونحـن نهينـا عن عقـوق الوالديـن، وأمرنا أن نحسـن إليهما، وإليك بعض الأدلة.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

(١) «نفس المصدر السابق» (ص٣٥٥).

★ وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(١)].

★ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»[(٢)].

التائب: إذًا ماذا أصنع مع الوالدين؟

الداعية: تتوب إلى الله من عقوقهما، وتحسن إليهما، وتستغفر لهما وتبرهما وتكون تحت طوع أمرهما، ولا تعص لهما أمرًا، إلَّا إذا أمراك بمعصية؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وإن ماتا جميعًا أو مات أحدهما تستغفر لهما، وتكثر من

(١) **متفق عليه:** البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).
(٢) البخاري (٦٦٧٥) (٦٨٧٠) (٦٩٢٠).

الدعاء لهما. والبر بهما بعد موتهما: الدعاء لهما، وأن تصل مَنْ كانا يصلان قبل موتهما.

بل أقول لك: عامِل والديك بما تحب أن يعاملك به ولدُك غدًا، فالجزاء من جنس العمل.

التائب: تبت إلى الله، ولن أعود مرة أخرى إن شاء الله.

الداعية: إذًا هيا بنا نتوب.

التائب: من أي شيء نتوب؟

الداعية: نتوب من قطيعة الرحم، لك عم منذ كم لم تره؟ لـك خال منذ كم لم تزره؟ لك عمـة منذ كم لم تدخل عليها في دارها؟ لك خالة منذ كم لم تسمع صوتها؟ ولك... ولك...؟

التائب: صدقت والله؛ فأنا مقصر في هذا الباب.

الداعيـة: إن الله تعـالى توعـد قاطع رحمه بأشـد الوعيد، ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥].

★ وعـن أبي محمد جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**لا يدخـل الجنـة قاطع**» قال سـفيان في روايـة يعنـي: قاطع رحـم[1] [متفق عليه]، أرأيت أيهـا الحبيب خطـورة هـذا الذنب العظيـم! قطيعة الرحم؛ لابد أن تسـارع وتتوب إليه.

التائب: أتوب إلى الله من الآن من هذا الذنب وأستغفره، وأبدأ في صلة رحمي أزورهم، وأتصل عليهم وأودهم وأعطف عليهم، ومن كان منهم فقيرًا أنفق عليه إن شاء الله تعالى.

الداعية: إذًا هيا بنا نتوب.

التائب: من أي شيء نتوب!!

الداعية: نتوب من تضييـع الصلوات الخمس والتفريط فيهـا، وخاصة صلاة الفجر والعشـاء. فهذا يهودي قال لأحد المسـلمين: لـن تحرروا الأقـصى حتى يكون عددكـم في صلاة الفجر كعددكم في صلاة الجمعة.

(١) البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

التائب: إذًا بيننا وبين تحرير الأقصى مسافات طويلة!

الداعية: بلى والله إنها قصيرة، لو أننا عدنا إلى الله وتبنا إليه توبة جماعية صادقة، وأقبلنا على المساجد والصلوات الخمس. ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٥].

★ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

★ وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بين الرجل والكفر ترك الصلاة**»(٢).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) رواه مسلم (٨٢)، والترمذي (٢٦٢٢).

★ وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»(١).

★ وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الصلوات الخمس كَمَثَلِ نهر غمرٍ جارٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**»(٢).

الغمر: بفتح الغين المعجمة: الكثير.

★ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس صلاة أثقل على المنافق من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا**»(٣).

والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا لا يسع المقام الصغير لهذه الورقات لتوضيحها، فإذا أردت أن تزن نفسك على ميزان الإيمان، انظر إلى مدى محافظتك على صلاة الفجر، وهل هي

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٦٦٨).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري برقم: (٦٥٧)، ومسلم برقم: (٤٥١).

عليك ثقيلة؟ فراجع إيمانك وتب إلى الله وحافظ عليهما وعلى الصلوات كلها في جماعة.

التائب: أفعل إن شاء الله وأجتهد في ذلك ولا آلو جهدًا، وأسأل الله أن يعينني على ذلك.

الداعية: هيا بنا نتوب!!

التائب: من أي شيء أتوب!! وهل هناك شيء آخر أتوب منه غير كل ما ذكرت؟

الداعية: نتوب من هذا المرض العضال الذي فتت صفوف الأمة ومزق روابط الأُخوة، وضيَّع حقوق المسلم على أخيه.

التائب: ما هو هذا المرض؟ أخبرني بالله عليك.

الداعية: إن الإنسان يتورع من الربا، ولا يقع في الزنا، ويحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، لكنه يصاب بهذا المرض العضال الفتاك وهو يشعر أو لا يشعر، يدري أو لا يدري.

إنها الغِيبة التي أصبحت فاكهة المجالس في هذه الأيام؛ فلا يكاد يخلو مجلس من الغِيبة! إن أهون المصائب والذنوب في نظرنا الغِيبة! كثير من الناس يستطيع أن يكف نفسه عن الكبائر والصغائر، ولا يكف لسانه عن الغِيبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

★ عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١).

★ وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رِجليه أضمن له الجنة**»(٢).

يا سبحان الله! الكثير يستطيع أن يضمن ما بين رجليه، ولكن القليل جدًّا الذي يستطيع أن يضمن ما بين لحييه، ومن فعل ذلك ضمن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة.

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري برقم: (١٠)، ومسلم برقم: (٤٢).
(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري برقم: (٦٤٧٤)، ورواه مسلم برقم: (٤٢).

★ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أتدرون ما الغِيبة؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: «**ذِكْرُك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»(١).

★ وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت**»(٢).

★ وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبُك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(٣).

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٥).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري برقم: (١٠٥)، ومسلم برقم: (١٦٧٩).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٤) صحيح، انظر: «صحيح الترمذي» (٢٠٣٤).

يـا سـبحان الله! لم تقـل السـيدة عائشـة إلا أنهـا قصـيرة، فـما بالك بما نقولـه نحن في هـذه الأيام! وفي هـذا العصر على إخواننا في غيبتهم، كلمة (قصيرة) لو مزجت بماء البحر لمزجته من شـدة قبحها ونتنها، ومـاء البحر المقصود بـه بحار الدنيا، والمـاء يبلـغ ٧١٪ تقريبًـا من مسـاحة الأرض، كل هـذه المياه لو مزجت بها هذه الكلمة لغيرت لونها وطعمها ورائحتها.

تخيل أيها التائب: ما نقوله نحن في عرض إخواننا؟!

والأدهى من ذلك الخوض في أعراض العلماء، ألم تعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وآية الله في منتقصيهم معلومة؟ أتدري مـن العلـماء؟ إنهم ورثـة الأنبيـاء، والأنبيـاء لم يورثـوا درهمًا ولا دينـارًا، ولكن ورثـوا العلم، فمن أخذ بـه فقد أخذ بحظ وافر. أتدري من العلماء؟ إنهم حماة العقيدة وحراس الإسلام، أتـدري من العلـماء؟ إنهم للناس كالشـمس للدنيـا، والعافية للأبدان[١].

(١) راجع كتاب «حرمة أهل العلم» د/ محمد إسماعيل المقدم.

التائب: وما الخطر الذي يعود علينا وعلى الأمة من الطعن في العلماء؟

الداعية: يقول د/ محمد إسماعيل المقدم في كتابه الجليل «حرمة أهل العلم» الجناية: على العلماء خرق في الدين، فمن ثمّ قال الطحاوي في عقيدته: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير سبيل»[(١)]. وقال ابن المبارك: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته»[(٢)].

وقال أبو سنان الأسدي: «إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متى يفلح»[(٣)].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» تحقيق الأرناؤوط (٢/ ٧٤٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٨).

(٣) «ترتيب المدارك» (٢/ ١٤-١٥).

وقال الإمام أحمد بن الأذرعي: «الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب»(١).

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «كفى بالمرء شرًّا أن لا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين»(٢).

والطاعنون في العلماء لا يضرون إلا أنفسهم، وهم يستجلبون لها بفعلتهم الشنيعة أخبث الأوصاف، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وهم من شرار عباد الله بشهادة رسول الله ﷺ قال: «**خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**»(٣). وهم مفسدون في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١].

---

(١) «الرد الوافر» (ص١٩٧).

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/ ٣١٦).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٧)، وهو يحتمل للتحسين، انظر: «غاية المرام» للألباني في رقم (٤٣٤) و«الضعيفة» رقم (١٨٦١).

وهـم عُرضة لحرب الله تعالى القائـل في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب**»(١).

التائب: إني لا أفعل ذلك.

الداعية: جزاك الله خيرًا، ولكن هل تحضر مجالس الناس وهم يقعون في الغِيبة، ولا تنكر عليهم؟

التائـب: نعـم أجلـس معهـم، ومـرة أنهاهـم، وأخـرى أسكت.

الداعيـة: أيهـا الحبيـب، لا يجـوز لـك أن تحـضر مجلسًـا مثـل هـذه المجالـس، وإذا ذُكـر أخ لـك في الله ينبغـي عليـك أن تـذب عن عرضـه وتدافع عنه، ألم تسـمع ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في صفات المؤمنـين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنـون:٣]، ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء:٣٦].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٩٠)، وابن ماجه رقم (٣٩٨٩).

واعلم أن الله تعالى يثيبك على ردك عن عرض أخيك، ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(١).

★ وفي الحديث المتفق عليه من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصة توبته وقد سبق في باب التوبة. قال: (قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرُداه، والنظر في عِطْفَيْه، فقال له معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(٢).

إذًا يجب أن نتوب من الغِيبة وسماعها، ولا نجلس في مجلس فيه غِيبة أو نميمة.

---

(١) أحمد (٦/ ٤٥٠)، والترمذي (١٩٣٢). صحيح: انظر: «صحيح الجامع» (٦٢٦٢).

(٢) **متفق عليه:** البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

التائب: وهل هناك فرق بين الغِيبة والنميمة.

الداعية: نعم هناك فرق بين الغِيبة والنميمة، النميمة: هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

التائب: وهل نقل الكلام محرم وإن كان حقيقة؟

الداعية: نعم نقل الكلام محرم وإن كان على حقيقته بغرض الإفساد بين الناس، ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم:١١].

★ وفي الحديث المتفق عليه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة نمام**»(١).

★ وفي الحديث المتفق عليه أيضًا من حديث ابن عباس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين فقال: «**إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»(٢)، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري. وهناك نهي عن نقل كلام

(١) **متفق عليه:** البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٧).

(٢) البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠).

الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة؛ كخوف مفسدة ونحوها. فقد روى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحدٍ شيئًا؛ فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»(١).

فينبغي على الإنسان المسلم أن لا ينقل الكلام بين الناس وخاصة بين الدعاة والعلماء، قل خيرًا أو اصمت، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان؛ فإنّ نقل الكلام يوغل الصدور، ويمرض القلوب، ويمزق الصفوف، ويقطع روابط الأُخوة، ويفتت بنيان الحب في الله؛ لذلك ينبغي على كل مسلم أن يتوب ويعود إلى الله تعالى.

التائب: ما كنت أتوقع أن هذا الموضوع بهذه الخطورة على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأمة الإسلامية.

الداعية: لذلك أقول: هيا بنا نتوب.

---

(١) أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٣). وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» (١٠٣٥).

التائب: من أي شيء نتوب، وهل هناك شيء آخر نتوب منه؟

الداعية: نعم، نتوب من سماع الأغاني والموسيقى.

التائب: هذه الأغاني أُرَوِّحُ بها عن نفسي، فقد قيل: رَوِّحوا عن القلوب ساعة وساعة، فساعة نسمع القرآن وأخرى نسمع الأغاني والموسيقى، وهذه غذاء الروح.

الداعية: مهلًا عليّ أيها الحبيب، فإن هذه الأغاني التي بالموسيقى محرمة عندنا في الشريعة الإسلامية، وأي شيء محرم لا يكون غذاءً للروح أبدًا؛ لأن الروح لا تغذى إلا بما أباح الله من المسموعات والمقروءات. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠]، وسوف أسوق لك الآن بعض الأدلة على تحريم الأغاني والمعازف.

الأدلة من القرآن:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان:٦]، يقول القرطبي في «تفسيره» [١٤/ ٥٦] قال: «هو الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما، وهو ممنوع بالكتاب والسنة، والتقدير: من يشتري ذا لهو أو ذات لهو، روى سعيد بن جبير عن أبي الصهباء الكبرى قال: سئل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان:٦] الآية. فقال: والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء، وعن ابن عمر في تفسيرها: إنه الغناء. وذكر الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» (٢/ ١٤٩١) لهو الحديث: كل ما يُلهي عن الخير من الغناء والملاهي والأحاديث المكذوبة، وقيل: المراد شراء القينات، المغنيات والمغنيين؛ فيكون التقدير: من يشتري أهل لهو الحديث، قال الحسن: المعازف والغناء، وهو قول الصحابة والتابعين.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان:٧٣]، تفسير الخازن

«باب التأويل في معاني التنزيل»، (٣/ ٢١٤). الزور قيل: اللهو والغناء، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الغناء ينبت النفاق في القلب، وأصل الزور: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته.

والأدلة من السنة:

★ في الحديث الذي رواه البخاري معلقًا من حديث أبي عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامر أو أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليكونن من أمتي أقوام يَسْتَحِلُّون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بساحة بهم يأتيهم لحاجة فيقول: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويُمسخ آخرون قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»(١).

★ وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» معلقًا بصيغة الجزم محتجًّا به قائلًا في كتاب الأشربة (١٠/ ٥١/ ٥٥٩٠).

(٢) **صحيح**: البزار (١/ ٣٧٧، ٧٦٥)، الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٣) وغيرهما.

★ وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإن الله حرم الخمر والميسر والكوبة** (أي الطبل) **وكل مسكر حرام**»[(١)]، قال سفيان الثوري: **الكوبة: هي** الطبل ومثلها من آلات اللهو، فإذا كان الطبل وهو آلة ساذجة بالنسبة للمعازف العصرية فكيف بها سواها؟ وعن عمران ابن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يكون من أمتي قذف ومسخ**» قيل: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف وكثرت القنيات وشربت الخمور**»[(٢)].

★ وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدف حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام»[(٣)]. وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تكون الزلازل إذا ضرب الناس المعازف».

والأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة كثيرة لا يتسع هذا المختصر لسردها وراجع كتاب «إعلام القاصي والداني

(١) **صحيح:** أبوداود (٣٦٩٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٢١)، وأحمد (١/ ٢٧٤)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (٥٦).

(٢) **حسن:** الترمذي (٢٢٣١)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١/ ٢ نسخه الألباني) وغيرهما.

(٣) «سنن البيهقي الكبرى»، باب ما جاء في ذم الملاهي من المعازف والمزامير ونحوه.

بتحريم المعازف والأغاني» تأليف/ محمد إحسان عبده موسى؟!

التائب: إذا كان الأمـر كذلك فلماذا يُحلُّ لنا بعض الناس هذه الأغاني؟!

الداعية: الشُّـبَه كثيرة، ورددت عليهـم، والكتاب الذي ذكرته لك فيه الكفاية وفيه رد على الشُّبَه الواردة، وفيه رد على كل من قال بتحليل الغناء والموسيقى.

التائب: اسـتغفر الله العظيم وأتوب إليه من هذه الأغاني والموسيقى.

الداعيـة: جزاكـم الله خـيرًا، هكذا يجـب أن يكون المسـلم إذا وضح له الدليل، أن يُذعن ويخضع ويرضى ويُقاد لله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

أيها التائب الحبيب: هيا بنا نتوب!!

التائب: وهل هناك شيء آخر نتوب منه؟

الداعية: نتوب من الجهل.

التائب: وهل الجهل معصية؟

الداعية: نعم الجهل معصية.

★ وسئل سهل بن عبد الله: ما هو أقبح الذنوب؟ قال: الجهل بالجهل، وهو أن يجهل الإنسان أنه جاهل؛ لذلك تراه يقع في المعاصي الكثيرة بسبب جهله ويرتكب ما حرم الله، وهو لا يدري أن هذا الفعل حرمه الله، وأن هذا الذنب من أقبح الذنوب لقناعته الداخلية بأنه يعلم كل شيء.

فيجب على المسلم أن يتعلم ما ينفعه في دينه ودنياه؛ لأن العلم يولد للإنسان الخشية من الله تعالى والخوف منه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، وكلما كان الإنسان بالله أعلم، كلما كان منه أخوف وكلما ازداد علم الإنسان، ازدادت خشيته ومراقبته لله جَلَّ وَعَلَا، وازداد بعده عن المعاصي والمنكرات.

★ **وأيضًا نتوب من الجهل**، بأن نتعلم العلم لله، لمكانته وفضله ومنزلته الرفيعة. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

★ وفي الحديث المتفق عليه من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١).

★ وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**...ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة**»(٢).

★ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، ومتعلمًا**»(٣).

★ وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»(٤).

(١) البخاري (٧١) (٣٣١٦)، ومسلم (١٠٣٧). (٢) مسلم (٢٦٩٩).
(٣) الترمذي (٢٣٢٣)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٤١١٢)، وهو حسن.
(٤) الترمذي (٢٦٤٩) وقال: حديث حسن، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٨٦).

والأحاديث في ذلك الباب كثيرة جدًّا، لا يتسع هذا المختصر لسردها؛ لذلك أقول: هيا بنا نتوب من الجهل، ونتعلم العلم الشرعي قال الله تعالى، وقال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على أيدي العلماء الربانيين، الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون ويبلغون العلم للناس ابتغاء مرضات الله تعالى.

التائب: إذًا سوف أبدأ من الآن في طلب العلم وأحرص على مجالسة العلماء والحضور عندهم، وأنت محق يا أخي فيما تقول، وجزاك الله عني خيرًا.

الداعية: وجزاكم، هيا بنا نتوب!!

التائب: هل بقي شيء آخر نتوب منه!!

الداعية: نتوب من شرب الدخان والمخدرات والمسكرات.

التائب: أنا أعلم أن المخدرات والمسكرات حرام، لكن الدخان ليس بحرام إنما هو مكروه.

الداعية: انتظر لحظة أيها التائب حتى أسألك، الدخان من الطيبات أم من الخبائث؟

التائب: الدخان من الخبائث وليس من الطيبات.

الداعيـة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، هـل سـمعت هذه الآية وأظنها كافية شـافية لمـن يريد الحق، فقد حكمت أنت بنفسـك على الدخان بأنه حـرام، عندما عددته من الخبائث، وزد على ذلك أن العلماء في هذا العصر جميعهم حكموا عليه بالتحريم، وأفتى علماء المملكة العربية السعودية جميعهم بأنه حرام، وكذلك دار الإفتاء بمصر، ودار الإفتاء بالمغرب، والشيخ ابن بـاز، وابن عثيمـين، وأبوبكر الجزائري، والشـيخ نصر فريد واصل مفتي مصر السابق، كل هؤلاء حكموا عليه بالحرمة.

التائب: ما كنت أعلم ذلك!!

الداعية: ألم أقل لك: نتوب من الجهل، فإذا تعلمنا العلم الشرعي سهل علينا معرفة الذنوب والحذر منها.

وأنت علمت حرمة التدخين يجب عليك أن تقلع عنه من الآن.

التائب: وكيف ذلك؟

الداعية: الأمر سهل ويسير، يحتاج منك إلى عزيمة قوية وصدق نية، واستعانة بالله؛ فمن استعان بالله أعانه واصدق الله يصدقك.

التائب: أستعين بالله وأفعل إن شاء الله وأتركه من الآن، وأرجو من الله العون والتوفيق والسداد.

الداعية: جزاكم الله خيرًا، وهيا بنا نتوب.

التائب: وهل بقي شيء آخر نتوب منه؟

الداعية: نعم تتوب نساؤنا من التبرج والسفور، تتوب النساء من التبرج.

أيها التائب الحبيب:

إن الله تعالى خالق المرأة، وهو وحده الذي يعلم ما يصلحها وما يفسدها، وما هو أنفع لها في الدنيا والآخرة.

لذلك أمرها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالحجاب الشرعي الساتر لجميع جسدها، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذه الآيات يأمرها بالتستر والحجاب وهو الذي خلقها ويعلم ما يصلحها، فأمرها أن تتحجب بحجاب ربها ولا تُظهر من جسدها شيئًا.

★ روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم**

سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[(١)].

★ وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير نسائكم الودود الولود: المواتية المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات، ولا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم**»[(٢)]. وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء.

انظر إلى هذه الأحاديث، كأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصف هذا الزمان الذي نعيشه الآن! أسألك بالله أيها التائب الحبيب، ما تلبسه النساء في هذه الأيام من ملابس التبرج (البنطال، والملابس الضيقة، والملابس الشفافة) وغيرها من التبرج أهذا لباس المسلمات؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٥، رقم ٨٦٥٠)، ومسلم (٣/ ١٦٨٠، رقم ٢١٢٨).

(٢) **صحيح**: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٣٠).

التائب: لا والله هذا ليس بلباس المسلمات.

الداعية: إذا لم يكن بلباس المسلمات فلماذا تلبسه كثير من نساء المسلمين؟، أين أولياء أمور هؤلاء البنات؟ أين المسئول عنهن، أين راعيهن؟ «**وكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته**»[(١)].

وهذا التبرج للنساء هو الذي ساعد على انتشار الفاحشة والرذيلة؛ لأن هذا التبرج يحرك الشهوات الكامنة في صدور الشباب، ويشعلها مما يجعلهم يقبلون على الفواحش.

فلابد أن يتقي الله كل رجل في نساء بيته، ويغار على نسائه ويمنعهن من هذا التبرج ويحافظ عليهن.

التائب: من الآن أعدك أن لا تخرج لي زوجة، ولا بنت، ولا أم، ولا أخت بهذه الصورة.

الداعية: أحسنت وجزاك الله خيرًا، وهيا بنا نتوب!!

التائب: من أي شيء نتوب، لم تترك لي شيئا آخر؟

الداعية: على رسلِكَ، فالمعاصي كثيرة إنما أذكرك بأهمها

(١) أخرجه الترمذي (١٧٠٥).

وأشهرها بين الناس، وإلا لو جلست أذكرها كلها ما وسعنا هذا المختصر.

نتوب من الزنا ومقدماته.

التائب: عرفت الزنا وأنه كان فاحشة وساء سبيلًا، فما مقدمات الزنا التي تقصدها؟

الداعية: مقدمات الزنا كثيرة، منها النظرة المحرمة، ومنها الخلوة بالأجنبية بدون محرم، ومنها مشاهدة الأفلام والمسلسلات ومنها الذهاب إلى الشواطئ المختلطة بالنساء والرجال في الصيف، ومنها سماع الأغاني الماجنة فإنها بريد الزنا، ومنها محادثة النساء التي فيها لين وخضوع في القول، وميوعة في الكلام، وكذلك مصافحة النساء.

انظر إلى تحذير رسول الله ﷺ من هذه المقدمات:

★ ففي الخلوة بالأجنبية أخرج الشيخان عن النبي ﷺ: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرنّ إلا ومعها ذو محرم**»[(١)].

(١) البخاري (٣/ ١٠٩٤، رقم ٢٨٤٤)، ومسلم (٢/ ٩٧٨، رقم ١٣٤١).

★ وروى الطبراني والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**»(١).

★ وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدركه لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»(٢).

التائب: ماذا أصنع إذا في نظرة الفجأة أو النظرة الأولى؟

الداعية: اصنع كما أمرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ففي «صحيح مسلم» و«سنن الترمذي» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٧٣، رقم ١٠٣٦٢). قال الهيثمي (٨/ ٦٣): فيه عبد الله ابن إسحاق الواسطي وهو ضعيف. وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٤٩، رقم ٧٨٧٥) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧ و١٥٦)، أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٧).

قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نظرة الفجاءة فقال: «**اصرف بصرك**»(١)، وكذلك أيضًا ما يجري علينا، يجري على النساء؛ فهي مأمورة أيضًا بغض البصر.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١]. وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فأقبل ابن أم مكتوم. وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احتجبا منه**» فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه؟**»(٢).

ولا شك أن الغاية التي يهدف إليها الإسلام من غض البصر هي إقامة مجتمع نظيف لا تُهَيَّجُ فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه الغرائز في كل حين.

(١) أحمد (٤/ ٣٦١، رقم ١٩٢٢٠)، ومسلم (٣/ ١٦٩٩، رقم ٢١٥٩)،والترمذي (٥/ ١٠١رقم ٢٧٧٦) وقال: حسن صحيح.
(٢) أخرجه أصحاب السنن إلا ابن ماجه، وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيـا أيها الحبيب: اعلـم أن النظرة تثـير، والحركة تثير، والضحكـة تثير، والدعابـة تثير، والنبرة المعـبرة عن هذا الميل تثـير... والطريق المأمون هو تقليل هـذه المثيرات بحيث يبقى هـذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يُلَبَّـى تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع. وما أحسن قول الشاعر إذ يقول:

كل الحوادث مبدأها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها

فعل السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء مادام ذا عين يقلبها

في أعين الغير موقوف على خطر

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

فلابد أن نتوب من النظرات المحرمة وقراءة المجلات والجرائد الخليعة، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، وسماع الأغاني الماجنة. ولا يجوز للنساء أن تنظر إلى الرجال الأجانب أيضًا.

والخلـوة بالأجنبية ومصافحـة المرأة لا تحل لك، كل ذلك من مقدمات الزنا، فهيا بنا نتوب إلى الله منه.

وأكتفـي بما أشرت إليه مـن بعض الكبائـر والصغائر من الذنوب، وكل ذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وهذه الرسـالة المختصرة لا تتسع للبسط في ذلك المجال، إنما أشير إشارات ينتبه لها أصحاب العقول النيرة، وإنما يتذكر أولو الألباب.

ولكن اعلم أيها الحبيب، أن لهذه التوبة شروط صحة.

شروط صحة التوبة

التائب: ماذا تقصد بشروط صحة التوبة؟

الداعيـة: لكـي تكـون توبـة صادقـة ونصوحًـا من هذه الذنوب التي ذكرتها لك، وما على شـاكلتها من الذنوب، لابد أن تتوفـر فيهـا سـتة شروط، إذا طبقت هذه الشروط السـتة، نستطيع أن نقول أن توبتك صادقة ونصوح.

التائب: ما هي هذه الشروط؟

الداعية: الشروط هي:

الشرط الأول: الإخلاص: فإن التوبة عبادة، يشترط لها ما يشترط لسائر العبادات من الإخلاص، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١).

فلابد أن يقصد التائب بتوبته رضا الله عَزَّوَجَلَّ، ودخول جنته، والنجاة من عذابه؛ لأن العبد قد يترك الذنب لحفظ جاهه أو سلطانه، أو لطلب شيء من الدنيا.

الشرط الثاني: الإقلاع عن الذنب: فتستحيل التوبة مع مقارفة الذنوب.

الشرط الثالث: الندم على فعلها: والندم توبة، وإذا لم يندم القلب على القبيح دل على رضاه به، والذنب إما أن يحرق بنار الندم في الدنيا، أو يحرق بنار الآخرة.

الشرط الرابع: العزم على عدم العودة: فهو صدق الاستقامة على الطاعة.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٩) بدء الوحي، ومسلم (١٣/ ٥٣-٥٤) الإمارة، وأبو داود (٦٠/ ٢٨٤-٢٨٥)، والنسائي (١/ ٥٩-٦٠) النية.

وشرط بعض العلماء عدم معاودة الذنب، وقالوا: متى عاد إليه تبينا أن توبته كانت باطلة غير صحيحة، والأكثرون على أن ذلك ليس بشرط، فقد يعزم العبد عزمًا أكيدًا على عدم العودة إلى الذنب، ثم تضعف نفسه ويغلبه شيطانه فيقع في الذنب مرة أخرى، وقد ييأس العبد من طريق الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يجد إلا طريق الشيطان.

قال رجل للحسن: أما يستحيي أحدنا يذنب ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب؟ فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه؛ فلا تملوا من الاستغفار.

الشرط الخامس: رد المظالم: كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض، فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إلا الحسنات والسيئات»**[(١)].

فيجب على المسلم أن يرد المظالم إلى أهلها قبل أن يكون التعامل بالعملة الصعبة، بالحسنات والسيئات في وقت لا يستطيع المؤمن أن يزيد في حسناته حسنة أو ينقص من

(١) رواه البخاري (٥/ ١٠) المظالم، والترمذي (٩/ ٢٥٤) عارضة صفة القيامة بمعناه.

سيئاته سيئة؛ ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(١).

فقد يكون العبد محتاجًا إلى أجر التصدق بشق تمرة، حتى يفوز بجنة الله، وينجو من عذابه.

الشرط السادس: أن تقع التوبة في الوقت الذي تقبل فيه التوبة، قبل الغرغرة، وكذا قبل طلوع الشمس من مغربها(٢).

فهذه هي شروط التوبة أيها الحبيب، من تاب بهذه الشروط تاب الله عليه وقبلت توبته إن شاء الله.

التائب: وهل للتوبة علامات يعرف بها الإنسان صحة توبته؟

الداعية: نعم هناك علامات لصحة توبة الإنسان، يستطيع أن يعرف بها صحة توبته، وهي كالآتي:

علامات صحة التوبة

العلامة الأولى: أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

العلامة الثانية: لا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، خوف مستمر إلى أن يسمع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٨٢) التوحيد، ومسلم (٧/ ١٤١-١٤٢) الزكاة واللفظ له.
(٢) «مواقف إيمانية» د/ أحمد فريد (٣٥٧-٣٥٨).

قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت:٣٠]، فهناك يزول خوفه، وهذا عند موته.

العلامة الثالثة: ومنها انخلاع قلبه، وتقطعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظَم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عيينة ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:١١]، قال: تقطعها بالتوبة، ومن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط منه تقطع في الآخرة، إذا حقت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلابد من تقطع القلب، إما في الدنيا وإما في الآخرة.

العلامة الرابعة: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع ولا رياضة، ولا حب مجرد، إنما هي أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدي الرب كسرة عامة، فقد أحاط به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربه طريحًا ذليلًا خاشعًا، كحال عبد آبق من سيده، فأخذ فأُحضر بين يديه، ولم يجد من ينجيه من سطوته، ولم يجد

منه بُدًّا، ولا عنه غناءً ولا منه مهربًا، وعلم أن حياته وسعادته، وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جنايته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضعفه وعجزه، وقوة سيده، وذله وعز سيده.

فيجتمع في هـذه الأحوال كسرة وذلة وخضـوع، ما أنفعها للعبد وما أجدى عائدتها عليه، وما أعظم جبره بها، وما أقربه بها من سيده، فليس شيء أحب إلى سيده من هذه الكسرة، والخضوع والتذلل والإخبات والانطراح بين يديه، والاستسلام له.

فلله ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني. وأسألك بقوتك وضعفي، وبغناك وفقري إليك، هـذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سـواي كثير، وليـس لي سـيد سـواك، لا ملجـأ ولا منجى منـك إلا إليك، أسألك مسـألة المسـاكين، وأبتهل إليه ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الذليل، سـؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه:

يـا مـن ألـوذ بـه فـيـمـا أُؤَمـلـه

ومـن أعـوذ بـه فـيـمـا أحـاذره

لا يجبر الناس عَظْمًا أنت كاسره
ولا يَهيضُونَ عَظْمًا أنت جَابرُهُ

فهـذه وأمثالها من آثار التوبـة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبـه فليتهـم توبته، وليرجع إلى تصحيحهـا، ما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى.

أقسام الناس في التوبة

التائـب: هـل أفهـم مـن كلامـك أن النـاس أقسـام في التوبة؟

الداعية: نعم، الناس أقسام في التوبة.

التائب: وما هي أقسام الناس في التوبة؟

الداعية: أقسام الناس كالآتي:

القسم الأول:

مـن لا يوفق لتوبة نصوح، بل ييسر له عمل السـيئات من أول عمـره إلى آخـره، حتى يمـوت مصرًّا عليهـا، وهذه حالة

الأشـقياء، فلا يدخل بيت الله عَزَّوَجَلَّ إلا مرة واحدة ولا يدخل عـلى قدميـه، بل محمولًا على خشـبته، ولا يدخـل من أجل أن يصلي، بل من أجل أن يصلى عليه، ثم لا يعود إليه مرة ثانية.

القسم الثاني:

مـن يعمـل بطاعـة الله زمنًا من عمـره، وبرهة مـن دهره، ثـم ينقلـب لعلـم الله عَزَّوَجَلَّ فيـه، فيعمـل بمعصيـة الله عَزَّوَجَلَّ ويمـوت على ذلك، ما أصعـب العمى بعد البصيرة، وأصعب منـه؛ الضلالة بعد الهـدى، والمعصية بعد التقى، كم من وجوه خاشـعة وُقِّعَ على قصص أعمالهـا: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٣، ٤].

كم من شارق مركبه ساحل النجاة فلما هَمَّ أن يرتقي لعب بـه موج فغـرق، كل العباد تحت هذا الخطر، قلـوب العبد بين أصبعـين من أصابـع الرحمن يقلبها كيف يشـاء، ليس العجب فيمن هلك كيف هلك، إنما العجب فيمن نجا كيف نجا، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**والذي نفسـي بيده، إن أحدكم ليعمل**

بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[(١)]. وتقول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إن الرجل ليعمل زمانًا بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار».

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[(٢)]، أي من ختم له بعمل من أعمال أهل الجنَّة دخل الجنَّة، ومن ختم له بعمل من أعمال أهل النَّار دخل النَّار، نسأل الله حسن الخاتمة.

مات كثير من المصرِّين على المعاصي على أقبح أحوالهم، وهم مباشرون للمعاصي، فكان ذلك خزيًا لهم في الدنيا، مع ما صاروا إليه من عذاب الآخرة، وكثيرًا ما يقع هذا للمصرِّين على الخمر المدمنين لشربها:

أتأمن أيها السكران جهلا
بأن تفجأك في السكر المنية
فتضحى عبرة للناس طرًّا
وتلقى الله من شر البرية

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٠٣)، بدء الخلق، ومسلم (١٦/ ١٩٠) القدر.
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٥، رقم ٢٢٨٨٦)، والبخاري (٦/ ٢٤٣٦، رقم ٦٢٣٣).

القسم الثالث:

مـن يعمـل بمعصيـة الله عَزَّوَجَلَّ زمانًا مـن عمره ثـم يُوفق لتوبـة نصـوح فيعمـل بطاعـة الله عَزَّوَجَلَّ، ويمـوت عـلى عمل مـن أعـمال أهل الجنـة فيدخلها، قال النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن أحدكـم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسـبق عليـه الكتـاب، فيعمـل بعمل أهـل الجنة فيدخلها**»[(١)].

ومن هؤلاء من يتوب قبل موته بمدة تؤهله لأعمال صالحة يبلغ بها الدرجات، ومنهم من يتوب قبل موته بقليل، وحسبه أن ينجو من اللفحات، ويفوز بالجنان.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها.

القسم الرابع:

وهـو مـن أشرف الأقسـام وأرفعها، وهو مـن فني عمره في الطاعـة، ثم ينبه عـلى قرب الأجل ليجد في التـزود، ويتهيأ

(١) سبق تخريجه.

للرحيل بعمل صالح للقاء ويكون خاتمة للعمل، قال ابن عباس: لما نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:١-٣] نعي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة.

قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «**سبحان الله وبحمده**»، فذكرت ذلك له فقال: «**إني أمرت بذلك**» وتلا هذه السورة، وكان من عادته أن يعتكف في كل عام في رمضان عشرًا، يعرض القرآن على جبريل مرة، فاعتكف في ذلك العام عشرين يومًا، وعرض القرآن مرتين، وكان يقول: ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، ثم حج حجة الوداع، وقال للناس: خذوا عني مناسككم؛ فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا. وطفق يودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع، ثم رجع إلى المدينة فخطب قبل وصوله إليها. وقال: «**أيها الناس، إنما أنا بشرٌ يوشك**

أن يأتيني رسول ربي فأجيب، ثم أمر بالتمسك بكتاب الله» ثم توفي بعد وصوله إلى المدينة بيسير صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إذا كان سيد المحسنين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤمر بأن يختم عمره بالزيادة في الإحسان فكيف يكون حال المسيء؟![1].

الداعية: وبهذا أكون قد وصلت معك إلى نهاية المطاف، ونهاية هذا اللقاء، وأرجو من الله أن ينفعني به وينفعك، وينفع كل من يقرؤه ويجعله خالصًا لوجهه الكريم... آمين.

التائب: جزاك الله عني خيرًا، وأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يجعله في ميزان الحسنات يوم الحسرات، وأن يتقبله منا بفضله ومَنِّه وكرمه وجوده، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الداعية: أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وفي الجنة نلتقي بإذن الله تعالى، اللهم اجمعنا في الجنة.

وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) «لطائف المعارف» (٣٥٩-٣٦٠) لابن رجب الحنبلي.

الفَهرِسُ

إهداء..... ٣
نداء إلى الدعاة والخطباء..... ٤
مقدمة المؤلـف..... ٥
لماذا نتوب؟..... ١١
التوبة النصوح..... ١٨
العمر بآخره والعمل بخاتمته..... ٢٤
صور مشرقة من التوبة النصوح..... ٢٦
توبة صادقة تَسَعُ سبعين..... ٢٨
ما خلقت النار إلَّا لحسان..... ٣٣
وقفة دعوية..... ٣٤
وقفة تربوية..... ٤٤
نتوب من الشرك..... ٤٨
نتوب من الربا..... ٥٦
نتوب من أكل الحـرام..... ٦٠

نتوب من عقوق الوالديـن..... ٦٦
نتوب من قطيعة الرحم..... ٦٨
نتوب من ترك الصلاة..... ٦٩
نتوب من الغِيبة والنميمة..... ٧٣
نتوب من سـماع الأغاني والموسيقى..... ٨٢
نتوب من الجهل..... ٨٧
تتوب النساء من التبرج..... ٩١
نتوب من الزنا ومقدماته..... ٩٥
شروط صحة التوبة..... ٩٩
علامات صحة التوبة..... ١٠٢
أقسام الناس في التوبة..... ١٠٥
الفهرس..... ١١١